



تحت رعاية السيدة

اسماء الاله

عقيلة السيد رئيس الجمهورية العربية السورية

ملتقى المرأة للوقت صاوي

"المرأة وللوقت تنمار"

معرض وثائق التّجارة
للباحث القنصل حسين عصمت المدرّس
حلب من ٧ ولغاية ٩ أيلول ٢٠٠٣

فندق هباء للشام



هيئات الأعمال



إن إدارة صالة بلاد الشام تقدم في معرض التجارة الوثائقي مجموعة المدرس الاقتصادية لزمان يمتد من بداية القرن التاسع عشر الميلادي أيام الحكم العثماني، مروراً بالعهد الفيصلي والانتداب الفرنسي حتى فترة ما بعد الاستقلال في القرن العشرين، جمعها بحسب كبير وبحلم انطلق كشعاع فضي في مخيلة شاب ناشئ، لم يكن يملك سوى مصروفه الشخصي وبقايا أوراق جده حسين رشدي المدرس، لكن كنزه الكبير كان تلك المساحة من الحلم والأمل والإرادة والرغبة في التحقيق والإنجاز.

يشمل معرض التجارة الوثائقي هذا بالإضافة إلى الوثائق، مجموعة من الصور النادرة لرواد التجارة منذ بدايات القرن الماضي في سوريا ولبنان وفلسطين والعراق ومصر والأردن.

إن معرض السيد حسين المدرس هدية لندوة المرأة والاستثمار، وأملنا أن يكون نواة للاهتمام بدراسة دقيقة لوثائقنا التجارية والزراعية والصناعية وأساساً للحفاظ على الأسس المتينة التي بُني عليها الاقتصاد السوري.

أمية الزعيم

رئيسة لجنة سيدات الأعمال في غرفة تجارة حلب

حلب 2003/8/15

تدور عجلة الحياة ومعها المتغيرات والمستجدات، فبعد المعاناة من قلة المعلومات عن الاقتصاد السوري تشهد البلاد يقظة خجلة للاهتمام بوثائق العائلة وسواها، ويغوص بعض من الدارسين في بحر الاقتصاد الوطني وتبيري غرفة تجارة حلب عبر دورياتها في الربع الأول من القرن الماضي بتقديم الاحصائيات الدقيقة جدا عن التجارة واستهلاك الفرد السوري من كافة المواد والسلع، في زمن العقل السوري المبدع وليس في زمن الحاسوب الذي يقف بعد أكثر من نصف قرن احتراماً لتلك الدراسات التي هي بحق المرجع الرسمي الوحيد في عام 2003، ولن ننسى معرض التوثيق القومي السنوي، تلك المبادرة الحضارية التي تعمل على لملمة ذكريات الوطن وتوثيقها، وأعتقد أن من واجب كل مواطن المشاركة فيه للحفاظ على الذاكرة الوطنية.

وكما يفرز النبات البذور للحفاظ على نوعه، كذلك التجارة العمود الفقري المكمل لتوأمه الزراعة في سوريا بحاجة لمن يوثق تاريخها الذي أرسى قواعد تجارنا الأوائل ليكون حجر الطريق، ونجم الشمال، ومنازة للأجيال القادمة.

فالمعروف أن التاجر السوري شارك بتأسيس تجارة عالمية في الماضي وترك نظماً ثابتة وأخلاقيات هي عبارة عن محصلة لتاريخ عريق بتعاطي التجارة منذ قرون.

السيد حسين عصمت المدرس مزارع وابن لأسرة تتعاطى الزراعة والتجارة منذ أجيال، وهو اليوم القنصل الفخري للمملكة الهولندية في حلب "المحروسة" وقد وعى منذ صغر سنه أهمية وقسيمة كل ما هو مدون على الورق كتاريخ لوطن يفاخر بالانتماء إليه، وكتوثيق لمهنة كانت وما زالت هي الأقوى في العالم ألا وهي الزراعة والتجارة. بدأ المدرس بجمع الوثائق والسندات والأوراق الثبوتية وتعلق بها منذ الدقيقة الأولى التي لامست فيها أصابع يديه الغضة الورق العتيق وأحباره الطبيعية ثم كبرت الهواية معه وكان دقات قلبه تتوازن وإيقاعات قوافل إيل طريق الحرير.

أقدم معرضي هذا لكل من وقف ونظر وانتظر، لكل من شارك وشارك وسيشارك في مسيرة تطور هذا الاقتصاد، أقدمه لكل سكان مدن وقرى هذا الوطن الحبيب، وخارج حدوده الجغرافية، فهو حصيلة ما وقعت عيني ويدي عليه، وما خلفته الأيام من وثائق، بعد أن أتلقت القسم الكبير منها، وتركت الباقي تحت رحمة الجهل وعدم المعرفة بقيمتها العلمية والوجدانية. لقد زوجت في معرضي هذا، بين القيمة المادية والقيمة الفكرية للوثيقة.

شكر:

أذكر الصديقة السيدة أمية الزعيم وهاجسها للجديد الأصيل في المعارض، فلقد شجعتني وساعدتني على تصميم هيكلية المعرض واستعجلتني لإنجازه وتقديمه في ندوة "المرأة والاستثمار" أيلول 2003.

دون أن أنسى نكر الأساتذة جبرائيل غزال ومحمد كامل فارس، رحمهما الله، على مساعدتهما لي مع بداية مشواري في مجالات البحث والدراسة، ولسنوات طويلة من العمل المشترك معهما... وقد سلموني الشعلة لأكمل المشوار في السعي إلى إنشاء أرشيف متخصص بالوثائق الاجتماعية والاقتصادية، لمدينة حلب الشهباء ولباقى الحواضر السورية.

وأخيراً وليس آخراً، أشكر كلاً من السيد زكريا عمرايا والدكتورة زبيدة القاضي والسيد جوزيف الحاج والسيدة رزان السبع لمساهمتهن في إنجاح هذا المعرض والموسيقي بشار شريفة لمشاركته في حفل الافتتاح.

حسين عصمت المدرس

حلب "المحرّومة"

أيلول 2003

قصتي مع الوثيقة طويلة وغنية.

بدأت حين كنت أعيب بأوراق جدي المبعثرة في منزل العائلة القديم الأيل للسقوط في منطقة باب النصر - الفرافرة، في مدينة حلب الشهباء. أخذت لهفتي عليها تزداد كلما رأيت من يتلف مثل هذه الوثائق لجهله بما تحوي من ذاكرة، أو من يبيعها لتسافر خارج سورية مع غريب مقدر لقيمتها، أكثر مما نقدرها نحن، رغم أنها تاريخنا... بدأت بدرستها وتصنيفها منذ سنوات طويلة حيث كوّنت نواة أرشيف خاص بالعائلة يتوسع باستمرار حتى أصبح يطال المجتمع السوري بكافة شرائحه، وأحواله الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

شملت أبحاثي دراسة وعرض الصور الفوتوغرافية الوثائقية والرسوم الاستشرافية، وفن الخط العربي، وصولاً إلى وثائق المجتمع السوري وحياته اليومية.

يتوجه اهتمامي الحالي نحو الوثيقة الاقتصادية، وسوف أتوجه، في المستقبل القريب، إلى دراسة الوثائق الخاصة بالفن التشكيلي السوري والعلوم الطبية والتربوية، مع اهتمامي الدائم بالصورة الفوتوغرافية بمواضيعها المختلفة.

أصبح الكثير من تطلعاتي، بفضل الوثائق، مادة حقيقية للبحث والتدقيق وللحوار والمناقشة.

من خلال التحضير لهذا المعرض، وجدت نفسي أبحث عن حقائق مشوار الاقتصاد السوري خلال القرنين التاسع عشر والعشرين الذي يتهدى في تبلوره مفسحاً لنفسه الوقت الكافي لشق الطريق المناسب له، ولخلق مناخ اقتصادي عام مزدهر يلائم أماله، وكان الدخول في أحواله عملية لا بداية لها ولا نهاية.

فبين ما هو قائم، وما يجب أن يكون، أفتش في الوثيقة عن أوجه الحقيقة في بنايها وما وراء الكلمات والحروف لأصل في النهاية، قدر الإمكان، وبموضوعية، إلى إعطاء العالم صورة وافية عن الاقتصاد السوري.

PRESENTATION

Mon histoire avec le document est longue et riche. Elle commença alors que je fouillais dans les papiers de mon grand-père, éparpillés entre les murs tremblants de la vieille maison délabrée de la famille, à Bab-El Nasser-El-Farafrat, à Alep.

J'attendais de cette maison ma force de travail, mon bonheur. Déjà, tout mon espoir y habitait. Rien ne pouvait désormais calmer les battements de mon cœur à la vue d'un feuillet, que je considérais comme quelque chose de fixe parmi tant de choses fuyantes. Je songeais à tous ces documents détruits par ignorance ou négligence, vendus à un étranger qui les appréciait mieux que nous, alors qu'ils représentent notre histoire.

J'ai passé tout un temps de jeunesse à étudier et classer les documents, dans le but de former le noyau des archives de la famille, qui ne cessèrent de s'élargir pour atteindre la société syrienne, dans toutes ses classes et domaines ; social, politique et économique.

Tous mes efforts ont été portés ces dernières années sur les photos documentaires, les dessins orientalistes, la calligraphie et les documents de la vie quotidienne, dans la société syrienne. Actuellement, c'est le document économique qui capte mon attention. Je voudrais dans un futur proche connaître des formes de vie très diverses, comme les arts plastiques, les sciences médicales et pédagogiques ; sans oublier mon intérêt constant pour la photographie. Il s'agit de retrouver d'autres vies ! Tout ce que nous pourrions vivre d'elles, nous-mêmes, savourer d'émotions pour les dire.

Grâce au document, toutes mes aspirations sont devenues une réelle matière de recherche, d'investigation et de dialogue.

Pendant la préparation de cette exposition, je me suis trouvé mené sur l' " Itinéraire de l'économie syrienne au XIX et XX e siècles ". Cette économie a pris le temps nécessaire pour tracer son chemin et créer le climat propice

à ses aspirations. C'était une tâche difficile, car, entre ce qui est fait et ce qui doit être fait, je cherchais dans le document les différentes facettes de la réalité dans ses sources, derrière les lettres et les mots, pour pouvoir à la fin, tant que possible, et avec objectivité, présenter au monde une image complète de l'économie en Syrie.

Je dédie mon exposition à tous ceux qui se sont arrêtés, ont regardé et attendu ; à ceux qui ont participé et participeront encore au développement de cette économie. Je la dédie aux habitants des villes et villages de notre patrie chérie, au-delà de toutes frontières géographiques.

C'est le résultat d'un long travail patient sur les " fièvres des jours passés ", sur ces documents qui ont résisté au temps, au vieillissement et à l'ignorance. J'ai tenté de conserver la double valeur matérielle et intellectuelle du document.

REMERCIEMENTS

Je cite Mme Omayya El-Zaim et son intérêt pour toute exposition originale. Elle m'a Offert encouragement et soutien dans la réalisation rapide de l'exposition pendant la conférence de " La femme et L'Investissement "

Je n'oublie pas de mentionner M.Gabriel Ghazal et M.Mohammed-Kamel farès avec qui j'ai travaillé pendant de longues années. Ils me transmirent le flambeau pour poursuivre le chemin dans la constitution d'un archive des documents sociaux et économiques de la ville d'Alep et des autres villes syriennes.

Enfin, je remercie M.Zakarya Amaraya, et Docteur Zoubeida El-Kadi et M.Joseph Al-Hage et Mme. Razan El-Sabeh d'avoir participé au succès de cette exposition, et le musicien Bachar Charifeh pour sa participation au Vernissage.

Hussein Ismet El-Mudarris
Alep, Septembre2003

"مهما أراد الباحث، أن يستنطق بطون الأسفار وصفحات التاريخ عن تجارة حلب في الماضي، فإنه لا يدرك إلا النزر اليسير مما يتوخاه، ذلك لأن مؤرخي العرب، قلما كانوا يوجهون اهتمامهم لهذه النواحي الاقتصادية المهمة بين نواحي الحياة التي كرسوا أقلامهم وبذلوا جهودهم لأجلها.

فقد اقتصرت أبحاثهم على ذكر تاريخ الفتوح والحروب والوقائع والملوك والغزاة والأمراء وقادة الجيوش ومشاهير الرجال والأعيان. أما الجوابون العرب، فكانت مباحث رحلاتهم سياسية أو دينية. أما المؤرخون العرب فقد اكتفوا بدراسة أحوال البلاد التي زاروها في رحلاتهم كالمسعودي (مروج الذهب) الذي كتب في القرن العاشر، وأبي عبيد البكري الأندلسي (المسالك والممالك)، وابن سعيد المغربي صاحب كتاب "المغرب" الذي كتب في القرن الثالث عشر وغيرهم.

لذلك فالعنصر الوحيد الذي يُستفاد منه في هذا المجال، محفوظ من تراث القناصل الأوروبيين الذين أقاموا في حلب، ودونوا الكثير من عاداتها وأحوالها وتجاريتها، حيث كانوا يتعاطون التجارة أيضا، فيعملون لدولتهم في حقول السياسة ولأنفسهم في حقول الاقتصاد، ولهذا فهم خير مرجع قِيم لأوضاع التجارة والصناعة والزراعة الماضية."

محمد سعيد الزعيم

حلب في 15 شباط 1949

إن عجزت رمال الأرض والمحيطات عن احتضان مسارات لقوافل،
فإن القرطاس قد سجل صداها حبراً كان لا يجف قبل أن ترتاح تلك
القوافل في خانات المدن السورية، وتتقاسم أسواقها ما حملته من
البضائع، أو بعد أن تطمئن على انطلاق قوافلها المحملة خيرات...
وحضارة.

هو نبض سورية الأزلي الذي اختط لطرق التجارة والحريير وجهاتها.
...الطرق لا تعمر المدن.
المدن هي التي تنسج طرقاتها نحو العالم.

شقت سورية طرقاً قوافلها من صخرها الأشم، باني مدنها، وصانع
رهبة أسوارها ذات الأبواب الحاملة أسماء الجهات الدانية والقاصية،
والتي ما زال عابرها يشعر وكأنه بمعية إحدى القوافل، حتى لو كان
وحيداً.

أزمة سورية لا تزول، فهي مستمرة طالما استمر شعب حفر ذاكرته
على طين الأرض، إشارات ورموزاً فأبجدية قدمها للعالم.

"مشوار تاريخ الوثيقة الاقتصادية السورية... معروض شاءه الباحث
حسين عصمت المدرس، لا خدمة لجمالية الحنين، بل تعبيراً عن
علاقة لا يفك لغزها إلا من اختير أميناً على روح الأشياء والعبور
بها إلى الآتي من الأزمنة.

في مجموعاته تحيا الأشياء حياتها الأبدية.

من استعاد "أفراح أيام زمان"، وتواريخ مدينته "الشهباء"، وأقصى
القدس والقيامة... صوراً انتشلها من بين طيات الورق العتيق، يُحيي
اليوم حياة سورية الاقتصادية في القرنين التاسع عشر والعشرين،
عبر الوثائق والصور، والأدوات التي استخدمها المزارع والتاجر
والصناعي السوري: نظارته، ريشته، مداده، قرطاسه، وخاتمه...
تستعيد وتحكي ماضي الوطن، وتعبّرُ بنا إلى الحاضر، وتثير فينا
أسئلة المستقبل.

ماذا سيبقى من مدونات اليوم التجارية بعد أن غادرت الورق، متحولة
إلى التقنية الرقمية عبر شبكات الاتصال الإلكترونية، محرمة على
حواسنا متعة التعاطي مع هذه الأدوات؟

جوزيف جميل الحاج

رواد الاقتصاد

على الإنسان أن يأكل ليعيش، والإنسان الأول أكل ما وقعت عليه يده في الطبيعة، لكن هذه الحال تبدلت وتعلم الإنسان أن يتحكم في الطبيعة ويسخرها إلى حد ما لأغراضه.

كانت سوريا مهد هذا التحول الذي حصل منذ ما ينوف على عشرة آلاف سنة. وكان هذا بداية لعملية تطور أدت بالتدريج إلى الصورة التي صار إليها اقتصادنا الحديث. إن سوريا هي التي شهدت بداية هذا التطور ومنها انتشر إلى بقية الشرق الأوسط وإلى أوروبا.

بيتر اكرمان وأوليفيه نيوفانهيوز

Pioneers of the economy

People have to eat to survive. The human being ate what they could find in nature. The situation changed when they learned to control nature to some extent.

The first took place in Syria more than ten thousand years ago. This was the start of a process that has led, very gradually, to modern economy.

Economic development spread from Syria to the rest of the Middle East and Europe.

Pionniers de notre economie

Pour vivre, l'homme doit se nourrir. Les premiers hommes mangeaient ce qu'ils trouvaient. Mais tout change lorsqu'ils apprennent à maîtriser tant soit peu la nature, ce qu'ils font pour la première fois en Syrie, il y a plus de dix mille ans. Un processus se met ainsi en marche qui, lentement mais sûrement, conduit à l'économie moderne. C'est de Syrie que les changements économiques se déploient vers le reste du Moyen-Orient puis vers l'Europe.

Peter Akkermans, Olivier Nieuwenhuys

عن مجلة Artissage

le magazine de l'exposition, Nr 23/02 LEYDE

LA SYRIE ANCIENNE